ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

في مدرسة الصوم

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، ذي الجلال والاكرام ، شرع الصيام لتطهير النفوس من الآثام، وجعل شهر رمضان سيد الأيام ، فضاعف فيه الحسنات والأجور ، وجعل فيه فرصة للتقرب من العزيز الغفور ، والصلاة والسلام على نبينا محمد، خير من صلى وصام، وداوم على الخير واستقام، وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به على الدوام، أما بعد:

وبعد . . ؛

فإن الصوم مدرسة تربوية كبرى يتعلم فيها المسلم كثيراً من الدروس والعبر ؛ قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة ١٨٣].

عَنْ أَبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم:مَنْ صَامَ يوْما فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ الله بَينَهُ وبَيْنَ النارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا. أخرجه النَّسَائِي ٤/١٧٢ ، وفي "الكبرى" ٢٥٦٦.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. أخرجه أحمد" ٢/٢٣٢ و"البُخاري" ٣٨ .

فعن طريق الصيام يحصل للإنسان دُربة على ترك شهواته، فيتأهل للتخلق بالكمال، فإن الحائل بينه وبين الكمالات والفضائل هو ضعف التحمل للانصراف عن هواه وشهواته.

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم يَنه قلباً غاوياً حيث يَمَّما
فيوشك أن تلقى له الدهر سبة ... إذا ذكرت أمثالُها تملأ الفما

يقول الرافعي : في " وحي القلم " : "الصوم يصنع الإنسان صناعة جديدة، تخرجه من ذات نفسه وتكسر القالب الأرضي الذي صُبّ فيه، فإذا هو غير هذا الإنسان الضيق المنحصر في جسمه ودواعي جسمه، فلا تغره الدنيا ولا يمسكه الزمان ولا تخضعه المادة، إذا كانت هذه هي صفات المستعبد بأهوائه لا الحرّ فيها، والخاضع بنفسه لا المستقل بها، والمقبور في إنسانيته لا الحيّ فوق إنسانيته؛ ومثل هذا المستعبد الخاضع المقبور لا وجود له إلا في حكم حواسه، فعمله ما يعيش به لا ما يعيش من أجله، ويتصل بكل شيء اتصالاً مبتوراً ينتهي في هوى من أهواء الحيوان الذي فيه، والصوم يطلق من سلطان نفسه، وينقح الآدمية فيه يجعله يجد نفسه، وموضع نفسه" .

وقال شوقي : " الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض علي الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتي إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع: والجوع كيف ألمه إذا وقع.

فتعلموا من مدرسة الصيام ، وتخلقوا بأخلاق الملك العلام ، تدخلوا الجنة بسلام .

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

المواسير – إيتاي البارود – البحيرة

في غرة شعبان ١٤٣٠ هـ = ٢٣ يوليو ٢٠٠٩ م

ففي مدرسة الصوم يتربى المسلم على فضائل ومكارم جمة منها :

١- التقوى والمراقبة .

قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (١٨٣) سورة البقرة.

فالهدف الأسمى من الصوم تربية المسلم على التقوى والإخلاص ومراقبة الله تعالى في السر والعلن . لذا فقد جعل الله الصوم له وحده فقال في الحديث القدسي :" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ ، إِلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، مَرَّتَيْنِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَرِحَ بِصِيَامِهِ. أخرجه عبد الرَّزَّاق (٧٨٩٣) و"ابن أبي شَيْبَة" ٣/٣ (٨٨٧٩) و"أحمد" ٢٦٦/٢(٧٥٩٦)) . و"البُخاري" (٧٤٩٢) و"مسلم" ٢٦٧٦ .

قال الإمام أحمد: لا رياء في الصوم، فلا يدخله الرياء في فعله، من صفى صفى له، ومن كدَّر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال.

فالمؤمن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فليعلم أن الله الرقيب الحسيب يراه ، قال تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} (٢) سورة الزمر.

وقال : {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} (١١) سورة الزمر.

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم لاَ شَىْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّات يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم لاَ شَىْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِىَ بِهِ وَجْهُهُ. أخرجه النسائي ٦/٢٥ وفي "الكبرى" ٤٣٣٣ . .

وفي الصحيح من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يومَ القيامةِ يأتون بحسناتٍ كأمثالِ الجبال بيضًا، يجعلُها اللهُ هباءً منثورا". قال ثوبان: صفهم لنا أنْ لا نكون منهم يا رسول الله! قال: "أما إنهم إخوانُكم، ومن جِلدَتِكم، ويأخذون من الليلِ كما تأخذون، لكنهم إذا خَلَوا بمحارمِ اللهِ انتهكوها".أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥) (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٠٢٨ في صحيح الجامع . .

قيل لبعض الحكماء: ما سبب الذنب؟ قال: الخطرة. فإنْ تداركتَ الخطرة بالرجوع إلى الله ذَهَبَتْ، وإنْ لم تفعل تولدتْ عنها الفكرة، فإنْ تداركتَها بالرجوع إلى الله بطلتْ، وإلا فعند ذلك تخالط الوسوسة الفكرة؛ فتتولد عنها الشهوة.. وكل ذلك باطن في القلب لم يظهر على الجوارح، فإنْ استدركتَ الشهوة وإلا تولد منها الطلب، فإنْ تداركتَ الطلب، وإلا تولد منه الفعل.

قال الشاعر :

الله يعلم كل ما تضمر ❀ ❀ يعلم ما تخفي وما تظهر
وإن خدعت الناس لم تستطع ❀ ❀ خداع من يطوي ومن ينشر

قال عبد الله بن دينار: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى مكة، فعَرَّسنا (التَّعْرِيسُ: نزول القوم في السفر من آخر الليل للاستراحة) في بعض الطريق، فانحدر عليه راعٍ من الجبل، فقال له: يا راعِ! بعني شاة من هذه الغنم.. فقال: إني مملوك.. فقال: قل لسيدك أكلها الذئب! قال: فأين الله؟! قال: فبكى عمر، ثم غدَا إلى المملوك، فاشتراه من مولاه، وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أنْ تعتقك في الآخرة.

وعن عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده أسلم، قال: بينا أنا مع عمر بن الخطاب ﷺ وهو يعس بالمدينة؛ إذ أعياه فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه! قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء. فقالت لها: يا أماه! أوَ علمتِ بما كان مِن عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ فقالت: وما كان مِن عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أنْ لا يُشاب اللبن بالماء. فقالت لها: يا بنتاه! قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء؛ فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر! فقالت الصبية لأمها: يا أماه! والله ما كنتُ لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا.. وعمر يسمع كل ذلك! فقال: يا أسلم! علِّم الباب، واعرف الموضع..

فلما أصبح الصبح قال: يا أسلم! امضِ إلى ذلك الموضع فانظر مَن القائلة، ومَن المقول لها؟ وهل لهم مِن زوج؟ قال أسلم: فأتيتُ الموضع فنظرتُ؛ فإذا الجارية أيِّم لا بعل لها، وإذا تيك أمها، وإذا ليس لها رجل.. فأتيتُ عمر بن الخطاب فأخبرتُه.. فدعا عمر ولده فجمعهم، فقال: هل فيكم مَن يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية! فقال عبد الله: لي زوجة. وقال عبد الرحمن: لي زوجة. وقال عاصم: يا أبتاه! لا زوجة لي فزوجني. فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتًا، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز.

قال الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، رَحِمَهُ اللهُ يُنْشِدُ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا ... فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا يُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ

غَفَلْنَا الْعُمُرَ وَاللَّهِ حَتَّى تَدَارَكَتْ ... عَلَيْنَا ذُنُوبٌ بَعْضُهُنَّ ذُنُوبُ

فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى ... وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ

أراد أحد الأساتذة الكرام أن معنى المراقبة والإخلاص والتقوى ، فدفع لكل تلميذ من تلاميذه دجاجة أو طائر وهو يقول: فليذهب كل تلميذ وليذبح هذا الطائر في مكان لا يراه فيه أحد، فذهب كل تلميذ بطائره في مكان يغيب فيه

عن أعين الناس حتى يذبح طائره ويعود به إلى أستاذه، ونظر الأستاذ فوجد تلميذاً نجيباً جاء بطائره ولم يذبحه فقال له، لماذا لم تذبح طائرك؟! فقال: يا أستاذي لقد طلبت منا أن نبحث عن مكان لا يرانا فيه أحد، وما من مكان ذهبت إليه إلا ورأيت أن الله يراني، فأين أذبحه؟!.

وإذا خَلَوتَ بِريبَةٍ في ظُلمَةٍ ✻ ✻ والنَّفسُ داعِيَةٌ إلى الطغيانِ
فاستحيِ مِن نَظَرِ الإلهِ وقُل لها: ✻ ✻ إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يرانِي

فلا تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك .

يا شهرُ كم لكَ فيكَ مِن إشراقه ✻ ✻ تطوِي الظلامَ وتنشُرُ الأعراسَا
أنبتَّ بالتقوى شِعَابَ قلوبِنا ✻ ✻ وسَقَيتَ بالآيِ الكِرامِ غِراسَا
نَفحاتُكَ الغَنَّاءُ رِفدُ سعادةٍ ✻ ✻ تستنزِلُ الرحَمَاتِ والإيناسَا
و نسائمُ الأسحارِ تَذهبُ بالضَّنَى ✻ ✻ وتُهَدهِدُ الوِجدانَ مما قاسَى
و بكلِّ سانِحَةٍ مَآثِرُ سُنَّةٍ ✻ ✻ مِن نُورِ أحمدَ أشرقَت نِبراسَا

٢- المراجعة والمحاسبة.

فالمسلم الحق هو الذي يراجع نفسه دائما ويحاسبها كما يحاسب المرء شريكه الخؤون ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) [الحشر:١٨،١٩].

وقال تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) [الزمر:٥٤].

وقد مدح الله تعالى أهل طاعته بقوله: " إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ {٥٧} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ {٥٨} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ {٥٩} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ {٦٠} أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ {٦١ } المؤمنون:٥٧-٦١).

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟

فقال: (لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون، ويتصدقون، ويخافون ألا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات) [الترمذي وابن ماجه واحمد].

عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال:الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ.

أخرجه أحمد ٤/١٢٤(١٧٢٥٣) و"ابن ماجة" ٤٢٦٠ والتِّرْمِذِيّ" ٢٤٥٩ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، فإن أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية). محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ٨١.

ورد عن الإمام علي رضي الله عنه (للمؤمن ثلاث ساعات : فساعةٌ يناجي فيها ربه ، وساعة يرمُّ فيها معاشه ، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذّتها فيما يحل ويجمل) .

وقال الحسن البصري : " المؤمن قوّام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عزوجل ، وإنما خفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شقّ الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ".

وكان توبة بن الصمة محاسبًا لنفسه ، فحاسبها يوما فرأى أن عمره قد بلغ ستين سنة ، فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: " يا ويلت ! ألقى الله بواحد وعشرين ألف ذنب ! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ؟ " ثم خرّ مغشيا عليه ، فحرّكوه فإذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول : " يالها من ركضة إلى الفردوس الأعلى ". إحياء علوم الدين ٤ / ٤٠٦ .

قال الشاعر:

حاسبت نفسي لم أجد لي صالحاً ✻✻✻ إلا رجائي رحمة الرحمن
ووزنت أعمالي علي فلم أجد ✻✻✻ في الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسي في أموري كلها ✻✻✻ ويحي إذا من وقفة الديان
يا أيها الإخوان إني راحل ✻✻✻ مهما يطل عمري فإني فان

يارب إن لم ترض إلا ذا تقى ❀❀❀ من للمسيء المذنب الحيران
نوح الحمام على الغصون شجانى ❀❀❀ ورأى الغزول صبابتى فبكانى
نوح الحمام ينوح من ألم النوى ❀❀❀ وأنا أنوح مخافة الديان
يا واحداً فى ملكه ماله ثانى ❀❀❀ يا من إذا قلت يا مولاى لبانى
أنسى وتذكرنى فى كل نائبة ❀❀❀ فكيف أنساك يا من لست تنسانى؟

روي أن الأحنف بن قيس كان جالساً يوما فجال بخاطره قوله تعالي :{لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (١٠) سورة الأنبياء.

فقال : علي بالمصحف لألتمس ذكري حتي أعلم من أنا ومن أشبة ؟ .

فمر بقوم : " كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (الذاريات:١٧،١٨) .

ومر بقوم : {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٣٤) سورة آل عمران.

ومر بقوم : {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩) سورة الحشر.

ومر بقوم : {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (٣٧) سورة الشورى.

فقال تواضعاً منه : اللهم لست أعرف نفسي في هؤلاء ثم أخذ يقرأ

فمر بقوم : {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} (٣٥) سورة الصافات.

ومر بقوم : يقال لهم {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر: ٤٢،٤٦].

فقال : اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء ،حتى وقع علي قوله تعالي : {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٠٢) سورة التوبة. فقال : اللهم أنا من هؤلاء .

عن الحسن ، قال : « المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله حال الناس منه في راحة ونفسه منه في شغل » محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ٨١ .

الخير بادٍ فيك والإحسانُ ✻✻✻ والذكرُ والقرآنُ يا رمضانُ
والصوم فيك عبادةٌ ورياضةٌ ✻✻✻ تسمو بها الأرواحُ والأبدانُ
والشّر فيك مكبّلٌ ومغللُ ✻✻✻ والبرُّ فيك مجلّلٌ هتانُ
والفجر فيك عبادةٌ وتلاوةٌ ✻✻✻ والصبح فيك سعايةٌ وأمانُ
والروح فيك طليقةٌ رفرافةٌ ✻✻✻ أحلامها الغفرانُ والرضوانُ

٣- الصبر والشكر.

فقد ربط الله تعالى في كتابه الكريم بين الصيام وبين فضيلتي : الصبر والشكر ، فالمسلم يتعلم من الصيام الصبر على مقاومة الشهوات والنزوات ، ثم يشكر الله على أن وفقه للقيام والصيام والعبادة ، يقول الله تبارك وتعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) البقرة:١٨٥.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : »الصيام جنّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنّي صائم] «رواه البخاري.

ولقد بشر الصابرين بثلاث بشريات كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا

لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) [البقرة: ٤٥].

وجعل الفوز بالجنة لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى: (إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) [المؤمنون: ١١١].

قال عمر بن الخطاب: "أفضل عيش أدركناه بالصبر".

وقال عليّ بن أبي طالب: الصبر مطية لا تكبو، وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الجنة لا يعطه الله إلا لعبد كريم عنده، وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عَوّضه خيرا مما انتزعه". عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" لابن قيم الجوزية (ص ٩٠-٩١).

قال الشاعر :

ولا تجزع إذا أعسرت يوما ... فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا ... لكان المال عند ذوي العقول

ويروى أن رجلا ركب البحر فكسر به فوقع في جزيرة من جزائر البحر فمكث فيها ثلاثا لا يرى أحدا ولا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا فأيس من الحياة فتمثل..

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه مجيب يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فنظر فإذا سفينة في البحر فلوح لهم فأتوه فحملوه وأصاب معهم خيرا ورجع إلى أهله سالما.

ولقد أمرنا الله بالشكر فقال سبحانه وتعالى: {كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِنا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ٢/١٥١-١٥٢]، وقال عز من قائل: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ١٤/٧]، وقال: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ٣٤/١٣] .

قال ابن القيم –رحمه الله " :الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا،

و على قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا و طاعة " اهـ.

قال تعالى :(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] النحل:٧٨ .

ويظهر من الآية أن الشكر غاية الخلق. فمن أجله جعل الله لنا السمع والأبصار والأفئدة، وهو روح العبادة فالله تعالى يأمر آل داود بالعمل وهذا العمل في ذاته شكر لله} اعْمَلُوا آلَ دَاوُد شكرًا] سبأ :١٣.

وفي الصحيحين عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "أنه قام حتى تورّمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً".

وقال لمعاذ: "والله يا معاذ، إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم في "المستدرك" وصححه، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (٧٩٦٩) .

وقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الدنيا" (٢) . صحيح: رواه أبو نعيم في "الحلية" والحاكم في "المستدرك"، عن ابن عباس، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (٥٣٥٥) ، و"السلسلة الصحيحة" رقم (٢١٧٦) .

فالصبر يستلزم الشكر ولا يتم إلا به و بالعكس، متى ذهب أحدهما ذهب الآخر ، فمن كان في نعمة ففرضه الشكر والصبر .

ولله در محمود الورّاق إذ يقول:

إذا كان شكرٌ نعمة اللّه نعمة ... عليٌّ له في مثلها يجب الشكرُ
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمرُ
إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منّة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

فاجعل دليلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : عَنْ عَبْدِ الرحمن بْنِ أَبِى لَيْلَى ، عَنْ صُهَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. أخرجه أحمد ٤/٣٣٢(١٩١٤٢) و"الدرامي" ٢٧٧٧ و"مسلم" ٨/٢٢٧ (٧٦١٠) .

٤- القرآن والذكر.

شهر رمضان هو شهر الذكر والقرآن ، قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) [البقرة: ١٨٥] ، وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) [القدر:١].

وقال تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) [الدخان: ٣].

عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". رواه

الطبراني في "الكبير" عن واثلة، وأحمد في "مسنده"، وابن عساكر، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).

ولقد مدح الله أهل القرآن فقال : " إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور" سورة فاطر، آية ٢٩، ٣٠ .

يا سادة الحفل للإسلام قاعدة ✻✻✻ إذا رعينا حقوق الله يرعانا
شتان ما بين تشريع السماء لنا ✻✻✻ وبين تشريع أهل الأرض شتانا
روضوا على منهج القرآن أنفسكم ✻✻✻ يمدد لكم ربكم عزا وسلطانا

وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها؛ كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة. وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة. وعن أبي حنيفة نحوه. وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان. وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن. وكانت عائشة – رضي الله عنها – تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت .

وهو كذلك شهر الدعاء والذكر ، ولذا جاءت هذه الآية بعد آيات الصيام مباشرة . قال تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) [البقرة: ١٨٦].

فربط الله تعالى بين الصيام والقرآن وبين الصيام والدعاء.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : ذِكْرُ اللهِ.

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ ذِكْرِ اللهِ . أخرجه أحمد ٥/١٩٥(٢٢٠٤٥) و"ابن ماجة" ٣٧٩٠ و"الترمذي"٣٣٧٧ . .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ.أخرجه أحمد ٢/١٧٤(٦٦٢٦) . .

يا ذَا الذي ما كَفَاهُ الذنبُ في رجبٍ ❀ حتى عصَى ربَّه في شهرِ شعبان
لقد أظلّكَ شهرُ الصومِ بعدهما ❀ فلا تُصيِّرْه أيضًا شهرَ عصيان
واتلُ القرآنَ وسبِّح فيه مجتهدًا ❀ فإنه شهرُ تسبيحٍ وقرآن

٥- الجود والكرم.

الإحسان لب الإيمان وروحه وكماله، ومعناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن مراقبة مَن يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه؛ بالمحافظة على الفرائض والنوافل، واجتناب المحرمات والمكروهات. والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

والإحسان الى الخلق يكون بالعطف عليهم ، والرحمة بهم ، ولقد جعل الله إطعام الطعام محل العتق في كفارة الظهار قال تعالى : " ومَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [المجادلة : ٤] . .

وجعل إطعام المساكين أو كسوتهم محل عتق الرقاب في كفارة الأيمان . قال تعالى : لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [سورة المائدة :٨٩] .

وقد جاء في بعض الإسرائيليات : قال موسى لرب العزة عزَّ وجل : فما جزاء من أطعم مسكينا ابتغاء وجهك ؟ قال : يا موسى آمر مناديا ينادي على رؤوس الخلائق إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار .[حلية الأولياء (١٩/٦) .

قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : "إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة، يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها" صحيح: رواه الطبراني في "الكبير والحاكم في "المستدرك"، والبيهقي في "شعب الإيمان" "صحيح الجامع" رقم (١٨٠٠) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . [متفق عليه] .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟! فقال صلى الله عليه وسلم :] إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته ، أو كسوت عورته ، أو قضيت له حاجة [[رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني (٩٥٤) في صحيح الترغيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح] .

بل اختصَّ الله من يقوم بهذا العمل الصالح بنعيم سابغ في الجنة .

وقال صلى الله عليه وسلم :] إن في الجنة غرفا ، يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها .

فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟

قال : هي لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام .

[رواه الطبراني في الكبير والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٤٦) .

قال الله في الحديث القدسي : يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني .

قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي . [رواه مسلم] .

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الامثلة للجود والكرم وبخاصة في شهر رمضان ، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ". "البُخَارِي" ١/٤(٦) و٤/٢٢٩(٣٥٥٤) و"مسلم" ٧/٧٣(٦٠٧٥) .

قال ابن حجر أجود الناس : أكثر الناس جوداً والجود الكرم وهو من الصفات المحمودة وقوله أجود بالخير من الريح المرسلة أي المطلقة يعني في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلي دوام هبوبها بالرحمة وإلي عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه (فتح الباري- ١/٣٠) .

وفي رواية للإمام أحمد زيادة عن الحديث السابق : "ما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ".

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته ✋✋✋ فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ✋✋✋ لجاد بها فليتق الله سائله

وفي صحيح الترمذي ٢٠٩/١ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "ينادي فيه مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة".

وقال ابن رجب الحنبلي : وكان جودُه أي صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم (لطائف المعارف ص ٣٠٦) .

وفي الحديث "من فَطَر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً " (صحيح الترمذي ٢٤٣/١ للألباني وابن ماجه ١٧٤٦) .

ما أنت إلا رحمة علوية ✋✋✋ خص الإله بها الورى وترفقا
رمضان يا عرش الهداية مرحبا ✋✋✋ يا نبع خير في الوجود تدفقا

ولقد كان السلف الصالح يحرصون على إطعام الطعام ويقدمونه على كثير من العبادات، سواءٌ كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخٍ صالح؛ فلا يشترط في المطعم الفقر. فلقد قال رسول الله ﷺ: "أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم" [الترمذي بسند حسن].

فكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك.

قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه.

عن أبي بردة قال لما حضر أبا موسى الوفاة قال يا بني اذكروا صاحب الرغيف قال كان رجل يتعبد في صومعة أراه قال سبعين سنة لا ينزل إلا في

يوم واحد قال فشبه أو شب الشيطان في عينه امرأة فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال قال ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبا فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فآواه الليل إلى دكان كان عليه اثني عشر مسكينا فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم وكان ثم راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفا فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفا ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائبا فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفا فقال المتروك لصاحب الرغيف مالك لم تعطني رغيفي ما كان بك عنه غنى فقال أتراني أمسكته عنك سل هل أعطيت أحدا منكم رغيفين قالوا لا قال تراني أمسكته عنك والله لا أعطيك الليلة شيئا فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك فأصبح التائب ميتا قال فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت السبع الليالي ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف فرجح الرغيف فقال أبو موسى يا بني اذكروا صاحب الرغيف . ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ٨ /١٠٧. وأبو نعيم في : حلية الأولياء ١/٢٦٣ .

٦- حفظ الجوارح والنعم.

الصوم مدرسة نتعلم فيها الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وقوة الإرادة وجهاد النفس والامتناع عن أهم رغبات الجسد وحاجاته الضرورية، ونتدرب على السلوك الحسن الذي يبعث على التقوى والإخلاص امتثالا لأمر الله وتقربا إليه، وفي الصوم يتعلم المسلم تهذيب النفس وحفظ الجوارح وتزكية الأخلاق، وتحلية القلب بالشفقة والرحمة، حيث يشعر الصائم في آخر النهار بألم الجوع ولهيب العطش، فيذكره ذلك بمعاناة الفقراء والمحرومين، ويدعوه للشفقة بهم ورحمتهم، وفي الصوم يكبح المرء جماح النفس عن أن نسترسل

في الشهوات والملذات، حيث ان الصوم يقلل الشهوة ويضعفها، ويكسر حدتها، فينبغي للعبد أن يبالغ في حفظ جوارحه وحواسه حتى لا يقع في الشر والفساد والإثم والمنكر.

إذا لم يكن في السمعِ مِنّي تَصَوُّنٌ ... وفي بصري غَضٌ، وفي منطقي صَمْتُ
فحَظّي إذًا مِن صومي الجوعُ والظمأ ... وإن قلتُ: إني صُمْتُ يومًا فما صُمْتُ

فلابد في الصوم من كف اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والهذيان، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، وكف البصر عن النظر، إلى كل ما نهى الله عنه، وكف بقية الجوارح عن ارتكاب المحرمات، وهذه غاية الصوم' لعلكم تتقون' فالصائم يراقب الله في جميع أعماله، فتتمثل عظمة الله في قلبه، فيحجم عن فعل القبيح، وترتدع نفسه عن إتيان الشهوات، وأهون الصوم ترك الطعام والشراب، والله عندما فرض علينا الصوم لم يرد منا حرمان النفس وتجويعها، وإنما أراد أن تظهر علينا ملكة التقوى والمراقبة والخشية له جل شأنه، لتحجز الصائم عن فعل القبيح والمنكر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ.

ــ وفي رواية : إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا ، فَلاَ يَرْفُثْ ، وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ.

أخرجه مالك "الموطأ" ٢٠٦ .. و"أحمد" ٢/٢٤٥(٧٣٣٦) و"البخاري" ١٨٩٤ و"مسلم" ٣/١٥٧ ..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، وَالْجَهْلَ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

ــ وفي رواية : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.

أخرجه أحمد ٢/٤٥٢(٩٨٣٨) و"أبو داود" ٢٣٦٢ و"ابن ماجة" ١٦٨٩ و"الترمذي" ٧٠٧ و"النسائي" في "الكبرى" ٣٢٣٣ . . .

فعلى الصائم أن يحفظ جوارحه عن كل ما حرم الله تعالى ، فيحفظ لسانه عن جميع المعايب ؛ من سب وشتم وقذف وغيبة ونميمة ولغو .

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله ... إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ما هممت بالنطق في الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحا
فالغنام السكوت أفضل من خوض ... وإن كنت في الحديث فصيحا

ويصون عينيه عن النظر إلى ما حرم الله ، وأذنيه عن سماع اللغو والباطل ، ويده ورجليه عن الحرام ، وقلبه عن الغل والحقد والحسد .

عَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَـامَتَا ، وَإِنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا ، وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، أَوْ سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأُرَاهُ قَالَ : بِالْهَاجِرَةِ ، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، إِنَّهُمَا وَاللهِ قَدْ مَاتَتَا ، أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا ، قَالَ : ادْعُهُمَا ، قَالَ : فَجَاءَتَا ، قَالَ : فَجِيءَ بِقَدَحٍ ، أَوْ عُسٍّ ، فَقَـالَ لِإِحْـدَاهُمَا : قِيئِـي ، فَقَاءَتْ قَيْحًا ، أَوْ دَمًا ، وَصَدِيدًا ، وَلَحْمًا ، حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ ، ثُمَّ قَـالَ لِلأُخْرَى : قِيئِي ، فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ ، وَدَمٍ ، وَصَدِيدٍ ، وَلَحْمٍ عَبِيطٍ ، وَغَيْـرِهِ ، حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهِمَا ، جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى ، فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ. – أخرجه أحمد ٥/٤٣١(٢٤٠٥٣) . . .

فيا شهر الصيام فدتك نفسي ... تمهل بالرحيل والانتقال
فما أدري إذا ما العام ولى ... وعدت بقابل في خير حال
أتلقاني مع الأحياء حيا ... أم انك تلقني في اللحد بالي
فذلك حال الدنا دواما ... فراق بعد جمع وارتحال

فشهر رمضان شهر القرآن والذكر وشهر ليلة القدر، فالسباق السباق ، فقد فاز السابقون المقربون ،واللحاق اللحاق، فقد سعد الفائزون، فالسعيد السعيد من صلى وقام، وصان نفسه عن الحرام، وأرضى الملك العلام.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
١- التقوى والمراقبة .	٤
٢- المراجعة والمحاسبة .	٧
٣- الصبر والشكر .	١٠
٤- القرآن والذكر .	١٢
٥- الجود والكرم .	١٥
٦- حفظ الجوارح والنعم .	١٩
الفهرست	٢٢